BITARA
Volume 7, Issue 4, 2023: 210-219
© The Author(s) 2023
e-ISSN: 2600-9080
http://www.bitarajournal.com
Received: 12 November 2023
Accepted: 30 November 2023
Published: 21 December 2023

الإرشادات النَّفسية في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة

[The psychological guidelines in light of the Quran and the Prophet's Sunnah]

Nesreen Mohammad Alqudah,[1] Shumsudin Yabi[1] & Kauthar Abd Kadir[1]

1 Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai, 71800 Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.
E-mail: shumsudin@usim.edu.my

* Corresponding Author: shumsudin@usim.edu.my

الملخص

يُلاحَظ مراعاة الشَّريعة الإسلاميَّة للإنسان في مختلف تفاصيل حياته، ومن هذا مراعاتها للنَّفس البشريَّة واحتياجاتها وما قد يطرأ عليها من أحوال وتغيرات، ولا يملك الباحث عند استقراء نصوص الوحيين إلا أن يقف مدهوشًا حائرًا في التوصيفات الدقيقة الإرشادات المستفيضة للنَّفس البشريَّة، وهي تنقسمُ إلى إرشادات حثٍ وترغيب، وإرشادات نهي ومنعٍ، وقد عرض هذا الباحث تحت عناوين مفصَّلة بما يخدمُ هذا البحث دون إسهابٍ ولا اقتضابٍ بما يراعي خصوصيَّة الورقة البحثيَّة، وقد اعتمدت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي، فقامت باستقراء وجمع الآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة حول النَّفس البشريَّة، ومن ثمَّ قامت بتقسيمها على عناوين منظَّمة، ومن ثُمَّ قامت بالتعريج عليها من كلام أهل العلم والمفسِّرين بما يخدمُ كلَّ عنوان من تلك العناوين، وقد توصَّلت إلى أنَّ الشريعة الإسلاميَّة قد اهتمَّت بإرشاد النَّفس البشريَّة بما يحقق استقرارها ويضمنُ سلامتها، وهي بالتَّالي تحرص على أن يكون الفرد في أعلى درجات الكمال ليكون فردًا فاعلًا في مجتمعه.

الكلمات المفتاحية: الإرشاد النَّفسي الديني، الحاجات النَّفسيَّة، النَّفس في القرآن والسُّنَّة

Abstract

The Islamic Sharia is observed in its consideration for human beings in various aspects of their lives. This includes its consideration for the human psyche, its needs, and the changes and conditions it may undergo. When examining the texts of the revealed scriptures, one cannot help but be amazed and bewildered by the detailed and extensive guidance provided for the human psyche. This guidance can be categorized into exhortations and encouragements, as well as prohibitions and deterrents. In this study, the researcher has presented these aspects under detailed titles that serve the research without unnecessary elaboration, respecting the specificity of the research paper. The researcher adopted the analytical review methodology, gathering and analyzing Quranic verses and Prophetic traditions related to the human psyche. These were then organized into systematic categories, followed by an elaboration with insights from scholars and commentators to serve each category. The study concludes that Islamic Sharia has taken a keen interest in guiding the human psyche to achieve stability and ensure its well-being. It emphasizes the individual's pursuit of excellence to become an active and contributive member of society.

Keywords: The Religious Psychological Guidance, Psychological Needs, and the Psyche in the Quran and Sunnah.

Cite This Article:
Nesreen Mohammad Alqudah, Shumsudin Yabi & Kauthar Abd Kadir. 2023. Al-Irshadat al-Nafsiyyah fi Daw' al-Qur'an al-Karim wa al-Sunnah al-Nabawiyyah [The psychological guidelines in light of the Quran and the Prophet's Sunnah]. *BITARA International Journal of Civilizational Studies and Human Sciences* 7(4): 210-219.

المقدمة

إن الدارس لكتاب الله الكريم يجد المساحة الواسعة التي شغلتها موضوعات الأسرة في منظومة الأحكام الشرعية التي فصلتها وبينتها آيات الكتاب العزيز، وهذا ظاهر من خلال تتبع العديد من هذه الآيات التي جاءت مبثوثة في أرجاء القرآن الكريم وتناولت تنظيم العديد من القضايا الأسرية مثل: بناء الأسرة من خلال عقد الزواج وتفصيل النساء اللاتي يحرم نكاحهن، وتنظيم تعدد الزوجات، وبيان ما يترتب على الزواج من أحكام كالمهر والنفقة والميراث، وتفصيل أحكام الطلاق والعدة، والتنبيه إلى حقوق الوالدين والأولاد، وغيرها كثير من الموضوعات الأسرية التي اعتنى القرآن الكريم ببيانها وضبط أحكامها .

وهذا يكشف عن مقدار العناية التي أولاها الإسلام لموضوع الأسرة ونظامها العام، ولا عجب في ذلك فالأسرة هي أساس بناء المجتمع وعماده وأصله، وبصلاحها يصلح المجتمع كله وبفسادها يفسد المجتمع كله؛ ذلك أنها المحضن الذي يتربى فيه الأفراد على العقيدة الإسلامية والقيم الكريمة والأخلاق النبيلة ويعدون ليكونوا لبنات صالحة في بنيان المجتمع الكبير.

وإن من الموضوعات التي اعتنى بها القرآن الكريم عناية واضحة وأفرد لها العديد من آياته الكريمة موضوع الرضاعة حيث يجد الناظر في كتاب الله الكريم أن كلمة الرضاعة ومشتقاتها قد تكررت في القران الكريم أربع عشرة مرة في سبع سور وثماني آيات كريمة، كما في قوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (Surah al-Baqarah, v:233). (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) (Surah al-Ahqaf, v:15). (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير) (Surah Lukman, v:14). (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) (Surah al-Qasas, v:7) إلى غيرها من الآيات الكريمة التي تحدثت عن الرضاعة وأحكامها.

وينضم إلى هذه الآيات الكريمة عدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن الرضاعة وفضلها وأحكامها كقوله صلى الله عليه وسلم (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) (al-Bukhari: no Hadith 5099; Muslim: no Hadith 3568). وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل العظام)(al-Tirmizi: 1072) . وعن عبد الله بن مسعود قال (لا رضاعة الا ما شد العظم وأنبت اللحم(Abu Daud: 1763) . وهذا كله يرشد إلى أهمية الرضاعة الطبيعية ومكانتها في النظر الشرعي وأنها من القضايا الجوهرية التي اعتنى بها الإسلام عناية واضحة نظرا لما لها من أثر كبير

في صحة الفرد وبناء الأسرة وقوة المجتمع، وفي ترسيخ المعاني الإنسانية في الحياة وبناء جيل قوي وسليم بدنيا ونفسيا.

مشكلة الدراسة:

أ. هل يمكن التعويل على الأبحاث العلمية المعاصرة في الكشف عن مقاصد الشارع من الحض على الرضاعة الطبيعية خلال أول عامين من حياة الطفل؟
ب. ما مدى توافق الحقائق الشرعية مع الحقائق العلمية في موضوع الرضاعة الطبيعية؟
ج. ما هي الآثار الصحية والاجتماعية والنفسية للرضاعة الطبيعية؟

أهداف الدراسة:

أ. إبراز أهمية الأبحاث العلمية المعاصرة في الكشف عن المقاصد الشرعية من الرضاعة الطبيعية.
ب. التأكيد على التوافق والانسجام بين حقائق الشرع ومقررات العلم في موضوع الرضاعة الطبيعية.
ج. تحديد الآثار الصحية والاجتماعية والنفسية المترتبة على الرضاعة الطبيعية.

الدراسات السابقة:

موضوع الرضاعة وأحكامها الشرعية من الموضوعات التي كتبت فيها العديد من الدراسات والبحوث العلمية المعاصرة، ولعل من أكثرها التصاقا بموضوع الدراسة وأهدافها:

أ. الرضاعة الطبيعية وأسرار الرضاع (البيولوجية والنفسية) لمحمد الحبال بحث منشور عبر الموقع الالكتروني: (https://quran-m.com).
ب. آثار الرضاع الفقهية والطبية محمد إبراهيم أبو جريبان ومهنا عبد الفتاح خطاب –مجلة دراسات الجامعة الأردنية –مجلد 35 عدد 2 -2008.
ج. الرضاع وما يتعلق به من أحكام في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، موسى، أبو السعود عبد العزيز، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية–جامعة المنصورة – كلية الحقوق.

والجديد الذي سيقدمه هذا البحث هو بيانه لأهمية مسلك التجارب والأبحاث العلمية وأثرها في الكشف عن المقاصد الشرعية للرضاع، بدنيا ونفسيا واجتماعيا.

خطة البحث:

المطلب الأول: مسلك التجارب والأبحاث العلمية وأثرها في الكشف عن المقاصد الشرعية للرضاع.
المطلب الثاني: الرضاعة الطبيعية ومقصد الحفاظ على الصحة البدنية والنفسية للإنسان.
المطلب الثالث: التحريم بالرضاع مقاصده الشرعية وآثاره الاجتماعية.

المطلب الأول: مسلك التجارب والأبحاث العلمية وأثرها في الكشف عن المقاصد الشرعية للرضاع.

بالرغم من الآيات الكريمة الكثيرة، والأحاديث النبوية الوفيرة التي تحدثت عن الرضاع وأحكامه الشرعية، فإنها لم تفصّل كثيرا في المصالح والمنافع والأسرار الكامنة وراء تلك الأحكام.

ولا يعني إجمال القرآن والسنة لهذه المقاصد عدم البحث والنظر والاجتهاد لاكتشاف تلك المقاصد المجملة، ومحاولة معرفة الأسرار العظيمة التي أرادها الشارع من أحكامه الشرعية التي بينها في موضوع الرضاع.

ذلك أنه من المقرر لدى العلماء أن المقاصد الشرعية كما يمكن معرفتها بالكتاب والسنة والإجماع، فإن كثيرا من هذه المقاصد الشرعية التي تتعلق بمصالح الإنسان الدنيوية و لم يأت الشرع ببيانها، يمكن أن تعرف من خلال التجارب الإنسانية والعادات البشرية والأبحاث العلمية، وهذا ما عبر عنه الإمام العز بن عبد السلام بقوله:" مصالح الدنيا ومفاسدها تعرف بالتجارب والعادات": (Izz al-Din Abd al-Salam, 1/13‘).

وهذا يعني أن مصالح الإنسان الدنيوية التي لم يأت الشرع ببيانها، قد ترك للناس تعرفها، وتعرف تفاصيلها ووجوهها وأسبابها، بعقولهم وتجاربهم وخبراتهم، وهذا الأمر ينطبق على كثير من المقاصد الشرعية المرتبطة بالرضاعة وأحكامها التي يمكن معرفتها من خلال الدراسات العلمية المعاصرة التي كشفت عن فوائد الرضاعة ومنافعها.

وإننا لنجد كيف كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يلجأ إلى التجارب والعادات البشرية في معرفة مصالح الفعل ومفاسده، ومنافعه وأضراره، وخيره وشره، وذلك من خلال حديث جُدامة بنت وهب الأسدية– رضي الله عنها – أنها سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «لقد هممت أن أَنْهَى عن الغِيلةِ، حتى ذكرتُ أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم».

والغيلة: هي أن ترضع المرأة صبيا وهي حامل، فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم ينه المرأة الحامل أن ترضع الصغير، لأنه رأى في عادات الروم والفرس أنهم يفعلون ذلك ولا يتضرر أولادهم به.

وبناء على هذا الهدي النبوي الذي أرشد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم نستطيع أن نقول إن كثيرا من المصالح الدنيوية، وكذلك المفاسد الدنيوية، للأفعال التي أمرنا الله تعالى بها أو نهانا عنها يمكن أن تدرك وتعرف من خلال التجارب العلمية والدراسات الموثوقة، وهذا ما يفتح الباب واسعا لتعاون العلم مع الشرع، وتآزر العقل مع النقل، وتعاضد الوحي مع الرأي، في تحقيق مصالح الإنسان في هذه الحياة، ذلك أن الأحكام الشرعية والحقائق العلمية يسيران في طريق واحد لا في طريقين متعاكسين، وإن الحقائق الشرعية لا يمكن أن تتعارض أو تتناقض مع الحقائق العلمية، بل إن كثيرا من الحقائق العلمية التي كشف عنها العلم الحديث اليوم يمكن أن تعيننا وترشدنا إلى مقاصد الشريعة وأسرار التشريع التي كانت غائبة وخفية عنا.

المطلب الثاني: الرضاعة الطبيعية وتحقيق الصحة البدنية والنفسية للإنسان.

وبناء على هذه الطريق، التي أرشدنا إليها الرسول الله صلى الله عليه وسلم في معرفة المصالح والمفاسد وهي طريق التجربة والعلم والعادات البشرية فإننا يمكن أن نطرق أبواب العلم الحديث لاستجلاء الكثير من المصالح والمنافع المتحققة من وراء الرضاعة الطبيعية.

لقد حدد القرآن الكريم مدة الرضاعة التامة لكل مولود، في عامين كاملين وذلك في قوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (Surah al-Baqarah, V: 233)، وهذا التحديد الدقيق لفترة الرضاعة المثلى، وتأكيد الآيات القرآنية عليه لم يتيسر معرفة أسراره ومعانيه ومقاصده، إلا من خلال الأبحاث الطبية الحديثة بعد ما ثبتت العلاقة بين تمام الرضاعة وكفاءة الجهاز المناعي والقدرة على مقاومة الأمراض، حيث أثبت الطب الحديث أن كفاءة الجهاز المناعي لا تصبح في أمثل صورة إلا عند عامين، أما قبل ذلك فيكون الرضيع في حاجة إلى مناعة مكتسبة في صورة أجسام مضادة تنتقل في لبن الأم إلى الطفل عبر الرضاعة (Muhammad al-Habbal, https://quran-m.com; http://iswy.co/e10qhh).

ويبين العلماء أن ثمة العديد من المصالح البيولوجية التي تتحقق من الرضاعة الطبيعية مثل: "اكتساب القدرة على هضم الغذاء بسهولة، واكتساب القدرة على امتصاص المعادن والأحماض وغيرها من المواد الأساسية بشكل يتناسب مع حاجة الطفل وسرعة نموه، واكتساب القدرة على مقاومة الفطريات والباكتيريا والفيروسات، والوقاية من أمراض الحساسية كالربو والأكزيما وأمراض أخرى كالسكري."

وهنا نستذكر كلاما عظيما لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ''(ما من لبن رضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه)'' (Nahaj al-Balaghah, 5/121)".

هذا وفي حالة عدم قدرة الأم على إرضاع طفلها، سواء أبت هي عن القيام بالرضاعة أو منعها مانع من ضعف أو فساد لبنها أو ميله إلى الرقة، فالقرآن الكريم يوجهنا في هذه الحالة إلى أن حليب الرضاع هو الأفضل مطلقاً ولو اضطر أن يكون المصدر غير الأم، ففي هذه الحالة يتم البحث عن مرضعة مناسبة، يكون لبنها بديلاً عن لبن الأم. قال تعالى: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى}(Surah al-Talaq, v:6).

وفضلا عن المصالح والمنافع المتعلقة بصحة الصغير الجسدية والبيولوجية فهناك العديد من المصالح النفسية للصغير أيضا، فإن الطفل يجد فيها التأكيد المتتابع لشعوره بالأمن والسعادة والاطمئنان وهو يسمع دقات قلب أمه وهي تضعه على صدرها بحنان ويشم رائحتها. هذه الدقات التي تعود على سماعها وهو في بطن أمه جنينا وهذه الرائحة التي تعزز فيه روح المحبة والعطف والوفاء ورابطة البنوة والطاعة والاحترام، مما يؤدي إلى نشوء طفل مستقر نفسياً وعاطفياً، إضافة إلى كونه صحيحاً جسميا وبدنيا فضلاً عن تقوية الصلات بين أبناء الأسرة الواحدة اجتماعياً.

وتشير بعض الدراسات المعاصرة إلى أثر الرضاع الطبيعية على أمن المجتمع، فقد لوحظ بأن أكثر الأشخاص جنوحا للجريمة والعنف والفساد، هم أولئك الذين لم يتلقوا تربية سليمة ضمن نطاق الأسرة، وخاصة ممن حرموا من حنان الأم والالتصاق بها وأخذ ثديها في بداية الطفولة، بسبب موت الأم، أو طلاقها أو غير ذلك من الأسباب. ولهذا فإن الأطباء والمختصين ينصحون باحتضان الطفل وقت إرضاعه بواسطة الزجاجة الصناعية، وذلك لزرع مفهوم الحب والرعاية والحنان لديه منذ الصغر .

ولا تقتصر الآثار الصحية والنفسية على الصغير فقط، وإنما تمتد إلى جملة من المقاصد العظيمة التي تتحقق للأم المرضعة أيضا، ذلك "حيث توفر السعادة للأم وهي تشبع غريزة وعاطفة الأمومة لديها. وتعجل في عودة أجهزة جسمها إلى الحالة الطبيعية فيما قبل الحمل خاصة الرحم وملحقاته وذلك بتأثير إفراز هرمون (*oxytocyin*) من القسم الخلفي للغدة النخامية والذي يزداد إفرازه بتأثير العامل الانعكاسي (المص من الثدي) (*suckling reflex*) الذي يتم عند الرضاعة من الأم.

كما أن الرضاعة الطبيعية تقلل من نسبة الإصابة بحالات الترف بعد الولادة (*postpartum bleeding*) وبالتالي مرض فقر الدم ومضاعفاته. والرضاعة الطبيعية تقلل من نسبة الإصابة بسرطان الثدي والمبيض، فقد لوحظ أن الأمهات اللاتي يرضعن أولادهن خاصة في السن المبكر يكن أقل إصابة بهذين الداءين بالمقارنة باللاتي لا يرضعن أو من النساء غير المتزوجات (Muhammad al-Habbal, https://quran-m.com; http://iswy.co/e10qhh).

ولقد أكدت الوثائق الصادرة عن منظمة الصحة العالمية: "ليس هناك شيء يماثل حليب ثدي الأم في توفير الغذاء الأفضل والأنسب للطفل الرضيع، وإن حليب الأم فيه من الفوائد الإضافية التي تقوي الجهاز المناعي

للرضيع ضد العديد من الأمراض التي يصاب بها الأطفال، وهو نظيف وآمن، ويكون في درجة حرارية مناسبة وغير مكلف، وكل الأمهات تقريبا لديهن ما هو أكثر من كاف لإرضاع أطفالهن".

أما مجلس الصحة العالمي التابع لمنظمة الصحة العالمية، فقد أقر مؤخرا قرارا يقضي برفع "الفترة النموذجية الدنيا" للرضاعة الطبيعية دون أي مصدر غذائي آخر من أربعة أشهر كما كان في السابق، إلى ستة أشهر على الأقل.

كما أكدت الدراسات الطبية الحديثة التي اعتمدت على الإحصائيات «المسحية» في الدول النامية على أن الأطفال الذين يتناولون الحليب الصناعي يتعرضون للأمراض ويصابون بالوفاة بفارق ١٥ ضعفا مقارنة بالأطفال الذين تغذوا على حليب أمهاتهم في أول عامين من حياتهم.

المطلب الثالث: التحريم بالرضاع مقاصده الشرعية وآثاره الاجتماعية.

لقد انفردت الشريعة الإسلامية من بين الشرائع السماوية القائمة بجعل الرضاع سبباً من أسباب التحريم في الزواج، وهذا ما بينه رب العالمين بقوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (Surah al-Nisa', v:23)، وعلى هذا فقد حرم الله سبحانه وتعالى الزواج من الأم بالرضاع كما حرم الأم من النسب. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب (al-Bukhari: no Hadith 5099; Muslim: no Hadith 3568) ، ويمكن أن نجد عدة مقاصد ومعان لهذا التحريم، (Muhammad Ibrahim Abu Jurayban, Mehnan Abd al-Fattah Khutob, 2008) ومنها:

أ. أن المرضع التي ترضع الولد إنما تغذوه بجزء من جسمها، فتدخل أجزاءها في تكوينه ويكون جزءاً منها وإن الحس والطب يثبتان ذلك، فإن لبنها الذي درّ من دمها ينبت لحم الطفل وينشز عظمه، وإذا كان الطفل جزءاً منها فهي كالأم النسبية، بيد أن الأم النسبية قد غذته بدمها في بطنها، والأم الرضاعية قد غذته بلبنها بعد وضعه، فإذا كانت الأم النسبية محرمة على التأبيد، وبعض من يتصل بها من محرمات عليه، فكذلك الأم الرضاعية.

ب. إن المرضع تندمج مع الأسرة التي ترضع أحد أولادها فتكون من آحادها، كما يكون الطفل في بيت مرضعته مندمجاً في أسرتها، فيكون ذلك التشابك بين الأسرتين، وهو بهذا يوسع دائرة القرابة في المجتمع،

مما يوسع من العلاقات الاجتماعية والأسرية، وهذا شأن الإسلام في التكافل الاجتماعي والترابط الأسري.

ج. كذلك فإن من مقاصد التحريم بالرضاعة رعاية الأطفال الذين ليس لهم أمهات يرضعنهم، فإن المرضع إذا علمت أنها في الشريعة أم للرضيع، ولها ما للأم من إجلال وتقديس فإنما تُقدم على الإرضاع من غير غضاضة وقد يكثر بذلك النسل، وقد قال في ذلك كاتب أوروبي (قد استوحى فقهاء المسلمين تلك الحقيقة (وهي تقرير قرابة بين الولد والمرضع) فاحتاطوا كل الاحتياط لذلك الغرض الأسمى الذي هو الحياة الإنسانية وهذا هو السر في أن الإسلام أعطى المرضع هذه المكانة لأنها جادت بلبنها مساهمة في تنفيذ الوصية الربانية وهذا هو السر أيضاً في أن الإسلام رفع شأن الحامل ولقد جعل الإسلام للمرضع تلك المكانة ولو كانت غير مسلمة يهودية أو نصرانية، وإنها لمكانة سامية تجعلها في الأسرة في المكان التالي للأم).

د. ومن حكمة التحريم بالرضاع طبيا ما أشارت إليه بعض النظريات العلمية المعاصرة التي أشارت إلى الرضيع يمكن أن يكتسب بعض الصفات الوراثية الخاصة بالمناعة من اللبن الذي رضع منه، وبالتالي تكون مشابهة لأخيها أو لأختها من الرضاع في هذه الصفات الوراثية. ولقد وجد أن تكوّن هذه الجسيمات المناعية يمكن أن يؤدي إلى أعراض مرضية عند الأخوة في حالة الزواج؛ كما وجد أن القرابة في الرضاع تثبت وتنقل في النسل، والسبب في ذلك هو الوراثة، ونقل الجينات واختراقها لخلايا جسم الطفل الرضيع، واندماجها مع سلسلة الجينات عند الرضيع .ومما يساعد على هذه النظرية: أن حليب الأم يحتوي على أكثر من نوع من الخلايا، ومعلوم أن المصدر الطبيعي للجينات البشرية هو نواة الخلايا (DNA)كما يحتمل أن الجهاز الوراثي عند الطفل الرضيع ينقل الجينات الغريبة؛ لأنه غير ناضج حاله حال عدة أجهزة في الجسم لا يتم نضجها إلا بعد أشهر وسنوات من الولادة.

يقول الإمام الغزالي:" لا يستعمل في رضاعته وحضانته إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه" (al-Ghazali, 8/130). وتبدو العلة في ذلك أن هذه المرأة الأجنبية سوف تصير أُماً له بعد أن يتغذى على لبنها، ويرتوي بحنانها، ويلتمس الهدوء في حرارة جسدها، فهو يرى الكون كله من خلالها، فالارتباط بينهما وجداني وبيولوجي. فالأبحاث العلمية تشير إلى أن لبن المرأة يحمل بعض الصفات الوراثية التي تنتقل من المرضعة إلى الرضيع، فهو بذلك يرث منها كم يرث من أبويه، فضلاً عن الارتباط الوجداني بينهما.

وبعد فهذه بعض فوائد ومقاصد الرضاعة الطبيعية ولا تزال المعامل تخرج علينا كل يوم بأسرار جديدة عن هذه العملية المباركة، وذلك لأننا ندرك جيداً أن الله تعالى لا تتولى ذاته المقدسة تفصيل أمر على هذا النحو إلا إذا كان ذا أهمية بالغة.

الخاتمة والتوصيات:

يمكن أن نضع بعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة مع بيان بعض التوصيات، وهي في التالي:

أولا: نتائج البحث:

أ. يعد مسلك التجارب والأبحاث العلمية المعاصرة من المسالك المعتبرة التي تكشف عن مقاصد الشريعة المتعلقة بأحكام الرضاع وإبراز المصالح البدنية والنفسية المترتبة عليه، وأن كثيرا من المقاصد التي أرادها الشارع من أحكام الرضاع وإن لم تكن ظاهرة في النصوص الشرعية فإنها يمكن استجلاؤها وتبينها اليوم من خلال التجارب والدراسات العلمية المعاصرة.

ب. يجب فتح الباب واسعا لتعاون العلم مع الشرع، وتآزر العقل مع النقل، في تحقيق مصالح الإنسان في هذه الحياة، لأن الأحكام الشرعية والحقائق العلمية يسيران في طريق واحدة، ولأن كثيرا من الحقائق العلمية التي كشف عنها العلم الحديث اليوم يمكن أن تعيننا وترشدنا إلى مقاصد الشريعة وأسرار التشريع التي كانت غائبة وخفية عنا بالأمس.

ج. تؤكد المقالة على المصالح البدنية التي تتحقق من الرضاعة الطبيعية مثل تقوية الجهاز المناعي للإنسان وكتساب القدرة على هضم الغذاء بسهولة، واكتساب القدرة على امتصاص المعادن والأحماض واكتساب القدرة على مقاومة الفطريات والباكتيريا والفيروسات، والوقاية من أمراض الحساسية كالربو والأكزيما وأمراض أخرى كالسكري، هذا فضلا عن المصالح النفسية والاجتماعية لكل من المرضعة والرضيع والأسرة والمجتمع التي تعد جميعها من مقاصد الشريعة للرضاعة.

د. أن الرضاعة الطبيعية ذات أهمية بالغة وفائدة كبيرة لصحة الطفل والأم المرضعة على حد سواء (بدنياً ونفسياً ووقائياً).

التوصيات

توصي الدراسة بضرورة تكثيف الدراسات العلمية الموجهة نحو استجلاء مدى تأثير الرضاعة الطبيعية على الطفل في اكتساب الصفات الوراثية للمرأة المرضعة وفيما إذا الرضاع يثر فعلا في اختراق خلايا جسم الطفل الرضيع، واندماجها مع سلسلة الجينات عند الرضيع.

ACKNOWLEDGMENTS

Special thanks to the Department of Islamic Jurisprudence - College of Sharia - University of Jordan - Amman – JORDAN.

Greatest appreciations to Ministry of Education Malaysia (MOE) of the approval of the Fundamental Research Grant Scheme (FRGS), Research Code: FRGS/1/2018/SS06/UNISZA/03/1: with the title: Construction of a Shariah-compliant Model of Management and Nursing Child Documentation (*Pembinaan Model Pengurusan Persijilan Dan Dokumentasi Anak Susuan Patuh Syariah*) through the (Center for Research Excellence and Incubation Management-CREIM-) Universiti Sultan Zainal Abidin, (UniSZA), MALAYSIA.

References

Al-Quran al-Karim.

Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad. 2001. *Ihya' Ulum al-Din*. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

Izz al-Din Abd al-Salam. *Qawaid al-Ahkam fi Masaleh al-Anam*. Damsyiq: Dar al-Qalam.

Al-Radhiy, Muhammad bin al-Husin al-Syarif. *Nahju al-Balaghah Imam Ali bin Abi Thalib*. Bayrut: Maktabah al-Andalus.

Abu Jurayban, Muhammad Ibrahim, Mehnan Abd al-Fattah Khitob. 2008. *Athar al-Radha' al-Fiqhiyyah wa al-Tibbiyah*. Majallah Dirasat al-Jami'ah al-Urduniyyah, V 35/2.

Abu Dawud, Sulayman ibn al-'Ashʿath bin Ishaq bin al-Azdy al-Sijistani. 2000. *Sunan Abi Dawud fi Mausu'ah al-Hadith al-Syarif al-Kutub al-Sittah*. Al-Saudi: Dar al-Salam.

al-Bukhari, Muhammad ibn Ismaʿil al-Juʿfi. 2000. *Sahih al-Bukhari fi Mausu'ah al-Hadith al-Syarif al-Kutub al-Sittah*. Al-Saudi: Dar al-Salam.

Muslim, Abu al-Husayn Ibn al-Hjjaj al-Nisaburi. 2000. *Sahih Muslim fi Mausu'ah al-Hadith al-Syarif al-Kutub al-Sittah*. Al-Saudi: Dar al-Salam.

Al-Tirmidhi. Abu Isa Muhammad ibn ʿIsa bin Saurah ibn Musa. 2000. *Jami' al-Tirmidhi fi Mausu'ah al-Hadith al-Syarif al-Kutub al-Sittah*. Al-Saudi: Dar al-Salam.

. / (البيولوجية والنفسية) أسرار الرضاعhttp://iswy.co/e10qhh

. الرضاعة-الطبيعيةhttps://quran-m.com/